الراحة فى التغيـــــير

للأستاذ احمد أمين

خلق الانسان ملولا ، يمل النعيم اذا طال ، ويمل الشقاء اذا طال ، يمل الحر اذا دام ، ويمل البرد اذا دام ، يمل الأكل الشهى اللذيذ اذا استمر عليه ، ويمل الأكل الخسيس اذا استمر عليه . وقديماً مل بنو إسرائيل أكل المن والسلوى ، وقالوا : « لن نصبر على طعام واحد ، فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها » . ولست أدرى لِمَ لامهم موسى عليه السلام على ذلك والملل طبيعى فى الانسان ، إلا أن تكون صيغة الطلب رذيلة مذمومة : « فادع لنا ربك » ليست الصيغة المؤدبة التى تصدر من المؤمنين .

من أجل هذا استعان الناس على درء الملل بالتنويع والتنقل ولو من حسن الى رديء ، فاشتهوا أتفه الطعام بجانب أجوده ، واشتهوا عشش رأس البر وأكواخ أبى قير فراراً من القصور الشامخة والبنيان المشيد — وروعى هذا فى برامج الدراسة : تخط بعد لغة ، ورسم بعد حساب ، ولغة انجليزية بعد لغة عربية ، دفعاً للملل من الدرس ومن المدرس ؛ وروعى كذلك فى برنامج الحياة : فلعب بعد عمل ، ومرح بعد جد ؛ وراعت الطبيعة هذا فى برنامجها : فليل ونهار ، وحر وبرد ، وسلطان للقمر بعد سلطان للشمس وهكذا — ولولا ذلك لمرى الناس ملل لا يطاق ، ولكانت الحياة عبئاً ثقيلاً لا يحتمل ، ولفر الناس منها الى الموت طلباً للتغيير والتنويع .

***

أخطأ الناس فظنوا أن الراحة معناها الانغماس فى الكسل ، والاضراب عن العمل ، والتمدد على سرير مريح ، أو الاتكاء على كرسى مُجتّح أو نحو ذلك ؛ وليس هذا بصحيح دائماً ، ولو كان كذلك لما مل الناس هذه الراحة ، ولما فروا منها الى العمل ، واستروحوا بالجد والتعب ، إنما الراحة التغيير من حال الى حال ، من عمل الى لا عمل ، ومن لاعمل الى عمل ، ولو كان عدم العمل هو الراحة لكان السجن أروح مكان — ألا ترى الراحة تكون فى الأشياء وأضدادها باستمرار ؟ فلو ركبت سيارة من مصر الى الاسكندرية لأحسست التعب من الركوب ، وأحسست الراحة من المشى ، ولو مشيت طويلاً لأحسست التعب من المشى ، والراحة فى الركوب ؛ وما أحلى النوم بعد التعب ، وما أحلى اليقظة بعد النوم — وفى الجلوس راحة اذا طال الوقوف ، وفى الوقوف راحة اذا طال الجلوس ، وفى العمل راحة بعد طول الفراغ ، وفى الفراغ راحة بعد طول العمل ، وفى نظر الصحراء لذة بعد طول النظر الى البحر ، وفى البحر لذة بعد طول النظر الى الصحراء — ومنظر البحر أبعد عن السأم لأنه فى تغير مستمر وحركة دائمة : موجة تعلو ثم تهبط ، وموجة تتكسر على الصخر أو الرمل ، ثم تسير الى الشاطئ وتفنى ، وتتجدد أخرى وهكذا . ومنظر الأرض ليس نصيبه كذلك من التغير ، فالانسان به أسرع مللا وأقرب سأما — وهكذا كل نظام الحياة : الملل من الدوام ، والراحة فى التغيير

***

ما أصعب الحياة الرتيبة وأشقها على النفس ! إنها تميت القلب وتبعث على الخمود ، ولا بد لعلاجها من التجديد ، وليس التجديد إلا نوعاً من التغيير ، يبعث عليه السأم من القديم ، فاذا مل الناس الأدب القديم جدد زعماء الأدب فى الأدب ، وأتوا للناس بفن جديد يستروحون به ، واذا مل الناس نوعاً من النظام الاجتماعى أتى المجددون بشىء جديد ونظام جديد يذهب بالملل ويجدد النشاط ، وليس تغيير الأزياء — وخاصة عند النساء — إلا ضرباً من هذا ، من أسرع خلق الله الى الملل ، وأدعاهم الى التغيير والتجديد ؛ فهن يطلعن على الناس كل عام بزى جديد فى القبعات والأثواب وكل ما يتصل بهن ، شعر قصير بعد شعر طويل ، وفستان طويل بعد فستان قصير ، وهكذا كثر ملبس وكثر تغييرهن فراراً من السأم وطلباً للراحة لهن ولغيرهن

***

وأقدر الناس فى هذه الحياة من استطاع أن يتغلب على السأم والملل بالتغيير المناسب فى نفسه وفى غيره . فالأديب القدير من استطاع أن ينوع نفسه وينوع كتابته حتى لا يمل ولا يمل ، وخير المجلات من استطاعت أن تجدد نفسها من حين الى حين .

تجديدا يتفق ومنفعة الناس ، ويتفق والرق ؛ فتتغير في أسلوبها وتتغير في موضوعاتها ، وتتغير من حين لآخر في كتابها حتى لا يسأم قراؤها ؛ وخير القادة من استطاع أن يجدد في دعوته ، فاذا كان له مبدأ واحد يدعو اليه استطاع أن يبرزه كل يوم في شكل جديد يسترعي النظر ، ويبعث فيه حياة جديدة تدعو الى النشاط والحركة .

وكثير من شرور هذا العالم سببه الملل ، فكسل التلميذ وانصرافه عن الدرس نوع من الملل ، وخمول الموظف وقعوده عن الجد في العمل نوع من الملل ، والجمود السياسي والفكري والاجتماعي نوع من الملل ، والرغبة في الانتحار نوع من الملل ، وكثيراً ما يكون الميل الى الكيوف والادمان عليها نوعاً من الملل ، وكثيراً ما يكون الشقاق العائلي وشقاء المنزل والمشادة بين الزوجين أحياناً والأبوين وأولادهما أحياناً نوعا من الملل ، الى كثير من أمثال ذلك ، وكلها أمراض صعبة التشخيص صعبة العلاج ، تحتاج الى نوع من الطب النفسي أدق من طب الأجسام ، وتحتاج الى مهارة في علم النفس لا تقل أهمية عن المهارة في علوم الطب .

من أجل هذا أصبحت الحياة فنا يجب أن يدرس ، وأصبحت طريقتنا في الحياة طريقة بالية ، وكل شيء اذا ارتقى وتعقد أصبح فنا يحتاج الى الدراسة ، وأصبحت الطريقة الساذجة فيه لا تغني ، فأمهاتنا يربين أولادهن حسبما اتفق ، ثم أصبحت التربية فنا ، ومعلمونا كانوا يعلمون حيثما اتفق ، ثم أصبح التعليم فنا ؛ ومغنونا كانوا يغنون حسبما اتفق ، ثم صار الغناء فنا — كذلك الحياة نفسها نحياها الآن حيثما اتفق ، ولكنها تعقدت وأصبح حل عقدها يحتاج الى دراسة ودراسات — وأصبحت المرأة في حاجة لأن تتجدد في بيتها حتى لا يمل زوجها ، والزوج يتجدد حتى لا تمل زوجته ، والمعلم يتجدد حتى لا يمل طلبته ، ورئيس الحزب يتجدد حتى لا يمل أتباعه ، وأصحاب الملاهي يتجددون حتى لا يملوا . والتغلب على الملل ليس من الأمور الهينة ، فليس كل تغيير يصلح لازالة السأم ، إنما يصلح التغيير يوم تدرس النفس ويدرس نوع التغيير ، كما يدرس المرض ويدرس نوع العلاج ، ويكون الدواء طبق الداء .

عن الاسكندرية

أحمد أمين

مسلمو السودان الغربي

يحاولون كشف أمريكا في أوائل القرن الثامن الهجري

للدكتور عبد الوهاب عزام

عثر كريستوف كلمب على أمريكا على غير قصد إليها ، بل كان يرجو أن يبلغ الهند من الغرب فأتيح له هذا الكشف العظيم .

وقد حاول مسلمو السودان الغربي في أوائل القرن الثامن الهجري أن يبلغوا الشاطىء الغربي من المحيط الاطلنطي (بحر الظلمات) برأي أسد من رأي كلمب ، وفكرة أصح من فكرته ؛ قبل كشف أمريكا بنحو قرنين .

كانت عظمى ممالك المسلمين في السودان في القرنين السابع والثامن بعد الهجرة بلاد مالي ومضافاتها . وكانت تعرف في ذلك الحين باسم بلاد التكرور . والتكرور كانت أحد أقاليم هذه المملكة الواسعة .

وكان ملكهم أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون منسا موسى ، قال في صبح الأعشى نقلاً عن العبر : « وكان رجلا صالحاً وملكاً عظيما له أخبار في العدل تؤثر عنه ، وعظمت المملكة في أيامه الى الغاية ، وافتتح الكثير من البلاد . قال في مسالك الأبصار : حكى ابن أمير حاجب والى مصر عنه أنه فتح بسيفه أربعاً وعشرين مدينة من مدن السودان ذوات أعمال وقرى وضياع . »

وقد حج منسا موسى أيام الناصر بن قلاوون سنة أربع وعشرين وسبعمائة . قال في صبح الأعشى نقلا عن مسالك الأبصار . « قال لي المهمندار : خرجت للتقاه من جهة السلطان فأكرمني اكراماً عظيما وعاملني بأجل الآداب . ولكنه كان لا يحدثني إلا بترجمان مع إجادته اللسان العربي . قال ولما قدم قدم للخزانة السلطانية حملا من التبر ولم يترك أميراً ولا رب وظيفة سلطانية إلا وبعث إليه بالذهب . وكنت أحاوله في طلوع القلعة للاجتماع

(البقية على صفحة ١٠٤٠)